

## 228911 - إشكال حول اختلاف نظم الآيات ، في قصة واحدة ، بين سورة وأخرى

### السؤال

أرجو الرد على شبهة من يدعي تعارض الآية ( قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ) ، والآية ( قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ) ، وتعارض الآية ( قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) والآية ( قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) .

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

الآيات التي تسأل عنها هي : قول الله تعالى : ( قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ، قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ) الأعراف/ 109 - 112 .  
وقول الله تعالى : ( قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ، قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ) الشعراء 34 - 37 .

ففي سورة الأعراف نسب القول للملأ ، وفي سورة الشعراء نسب لفرعون ، وهذا ليس تعارضا ، لأن الجميع قد قالوا هذا القول ، ومن شأن الحاشية أن تردد كلام ملكها ، فهم جميعا قالوا : (إن هذا لساحر عليم) .  
قال ابن كثير رحمه الله تعالى : " ( قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ) أي : قال الملأ - وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون - موافقين لقول فرعون فيه ، بعد ما رجع إليه روعه ، واستقر على سريره مملكته بعد ذلك ، قال للملأ حوله - : ( إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ) فوافقوه وقالوا كعقالته ، وتشاوروا في أمره ، وماذا يصنعون في أمره ... " .

انتهى من " تفسير ابن كثير " ( 3 / 455 ) .

وقال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى :

" ( قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ) وفي الشعراء : ( قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ) .

والجمع بينهما : أن فرعون وهم قالوا هذا الكلام ، فحكى هنا قولهم ، وهناك قوله .

أو قاله ابتداء ، فتلطفه منه الملأ ، فقالوه لأعقابهم ، أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ ، كما تفعل الملوك ؛ يرى الواحد

منهم الرأي ، فيكلم به من يليه من الخاصة ، ثم تبلغه الخاصة العامة " انتهى من " البحر المحيط " ( 4 / 358 ) .

فإن قيل : إذا كانوا كلهم قد قالوه ، فما وجه مناسبة تنويع نسبة هذا القول ، فمرةً نسب إلى فرعون ، ومرةً أخرى إلى الملائكة ؟  
فالجواب :

أن نسبة القول جاءت في كل موضع موافقة لسياق القصة.

ففي سورة الأعراف ذكر الملائكة في بداية القصة وأن موسى عليه السلام أرسل إليهم ،  
فناسب ذلك أن يذكر ردهم حين خاطبهم موسى عليه السلام ، وأراهم الآيات .  
وأما في سورة الشعراء ، فلم يذكر فيها الملائكة .

قال الله تعالى : ( ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ) الأعراف/  
103 .

قال أبو جعفر بن الزبير الغرناطي رحمه الله تعالى :

" بقى السؤال عن وجه اختصاص كل سورة بما خصت به ؟

والجواب أنه لما تقدم في سورة الأعراف قوله تعالى : ( ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ) ، فوقع ذكر الملائكة  
مبعوثاً إليهم مع فرعون ، ناسب ذلك أن يذكر في الجواب حتى يكون في قوة أن لو قيل : بعث إليهم وخوطبوا ، فقالوا ، ولم  
يكن ليناسب " بعث إليهم " فقال : فرعون ...

فإن قيل : فقد قيل في الأعراف : ( إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ) فقد قدم فرعون ، فهو أعمد من الملائكة لأنهم أتباعه وآله ، فلم لم يُبين الجواب  
على ذلك فيقال " قال فرعون " ؟

فالجواب : أنه لو قيل : قال فرعون لبقى التشوف إلى تعريفهم قول الملائكة وهم قد بعث إليهم وخوطبوا ولا بد من تعرف جوابهم  
...

ثم قال : " ولما تقدم في سورة الشعراء قوله : ( فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ ) ثم جرى ما بعد المحاورة ومراجعة الكلام بين موسى ، عليه  
السلام ، وفرعون ، ولم يقع الملائكة هنا ، ناسب ذلك قوله " قال فرعون " لأنه الذي راجع وخوطب ، فجاء كل على ما يناسب " .  
انتهى من " ملك التأويل " ( 1 / 214-215 ) .

وقال البقاعي رحمه الله تعالى : " ( إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ) أي شديد المعرفة بالسحر ، وخص في هذه السورة إسناد هذا الكلام  
إليه ، لأن السياق كله لتخصيصه بالخطاب ، لما تقدم ... ولا ينفي ذلك أن يكون قومه قالوه إظهاراً للطواعية - كما مضى في  
الأعراف " .

انتهى من " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " ( 14 / 29 ) .

ثانياً :

قال الله تعالى في سورة الأعراف : ( قَالَ إِنْ كُنْتَ جِنَّتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) الأعراف/106 .  
وقال سبحانه في سورة الشعراء : ( قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ، قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) الشعراء/31 .  
ففي سورة " الأعراف " ( فَأْتِ بِهَا ) فأنت الضمير لأنه راجع إلى لفظ ( آيَةٍ ) وهي مؤنثة .  
وفي سورة " الشعراء " ( فَأْتِ بِهِ ) فذكر الضمير لأنه راجع إلى ( شَيْءٍ مُّبِينٍ ) وهو لفظ مذكّر .

ولعل وجه الإشكال عند السائل هو :

أن الواقعة واحدة ، ولا بدّ أن فرعون قال لفظاً واحداً ، فلماذا جاء في القرآن بلفظين ؟

والجواب :

من المعلوم ، أن الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون لم يكن باللغة العربية ، وإنما كان بلغتهم ، وهذا القرآن قد نزل بلسان عربي مبين .

فأله سبحانه وتعالى يذكر لنا معنى الحوار الذي جرى بينهم ، وليس نفس ألفاظ الحوار لأن اللغتين مختلفتان .

ونقل معنى كلام ما ، إلى لغة أخرى : يجوز أن يُعبر عنه بأي لفظ يدل على المعنى ، ولا يشترط الالتزام بلفظ معين ، بل التنوع في التعبير ، مع الحفاظ على المعنى : هو من البلاغة المحمودة .

و " الآية " ، " والشيء المبين " في لغة العرب : معناهما واحد ، وهو : كل ما يدل بوضوح على الحق ويميزه عن الباطل .

قال أبو جعفر بن الزبير الغرناطي رحمه الله تعالى في مسألة شبيهة بموضوعنا :

" والجواب عن السؤال الأول : أن قول موسى ، عليه السلام ، لا توقف في أنه لم ترد حكايته إلا بالمعنى ، لاختلاف اللسانين

كما تقدم ، وإذا تقرر كونها بالمعنى ، والترادف فيما بين اللغتين ، في كل لفظتين يراد بهما معنى واحد ، غير مطرد ؛ فلا إشكال في أن المعنى قد يتوقف حصوله ، على الكمال ، على تعبيرين أو أكثر ، لا سيما مع ما في اللسان العربي من الاشتراك والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد والحقيقة والمجاز ، وغير ذلك من عوارض الألفاظ ، فكيف ينكر اختلاف التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ وعبارات مختلفة؟! "

بل نقول : إنه لو كان المحكي قولاً عربياً ، وحكي بالمعنى : لما استنكر اختلاف العبارة ، فكيف مع اختلاف اللسانين ؟ " انتهى من " ملك التأويل " ( 2 / 337 ) .

ولمزيد الفائدة راجع الفتوى رقم : ( 140060 ) .

والله أعلم .